

التوجه العلماني بين الرفض والتأييد: إدوارد سعيد وعبد الوهاب المسيري The Secular Orientation Between Rejection and Support: Edward Said and Abdelwahab Elmessiri as a Model

سارة قزي، جامعة الحاج لخضر باتنة 1، الجزائر ، Sara.guezi@univ-batna.dz

تاريخ قبول المقال: 18-11-2025

تاريخ إرسال المقال: 09-08-2025

الملخص:

لقد رفعت العلمانية كمفهوم إلى منصة المناقشة من طرف مفكرين عرب وتجاوزتها أقلام عدة، فمنهم من جعل المفهوم مدخلا لكتبه ولمداخلاته قصد حل مشاكل عصره. وهو التوجه الذي دعي إليه إدوارد سعيد في رؤية أدبية وترسنة مفاهيمية فقد اعتبر العلمانية مدخل الديمقراطية والتعايش السلمي بين مختلف الديانات الإسلامية، واليهودية، والمسيحية بالإضافة إلى أنه نظر للحوار الحضاري في ظل الراهن العلماني من أجل القضاء على الصراع القائم بين الدول وخاصة القضية الفلسطينية. وهناك من رفضها وكان ناقدًا لها فقد رفض عبد الوهاب المسيري التوجه العلماني من خلال وصفه للعلمانية على أنها إيديولوجية كاسحة تفكك القيم الإنسانية وتشيع الإنسان مما يجعله يعاني من الاغتراب عن ذاته. الكلمات المفتاحية: العلمانية، الديمقراطية، الاغتراب.

Abstract: The concept of secularism has been elevated to the forefront of intellectual discourse by Arab thinkers, provoking diverse and sometimes conflicting interpretations. For some, it has served as a foundational premise for their writings and interventions aimed at addressing the challenges of their era. This orientation is exemplified in the thought of Edward Said, who, through a literary perspective and a sophisticated conceptual framework, positioned secularism as a gateway to democracy and a basis for peaceful coexistence among Islam, Judaism, and Christianity. Furthermore, he envisioned civilizational dialogue within the contemporary secular framework as a means to resolve ongoing international conflicts, particularly the Palestinian question. Conversely, other intellectuals have rejected and critiqued secularism. Abdelwahab Elmessiri, for instance, denounced the secular orientation, characterizing it as an all-encompassing ideology that dismantles human values, reduces individuals to mere objects, and consequently subjects them to a profound alienation from their own essence

Key words : : Secularism, Democracy, Alienation.

مقدمة:

يشكل مصطلح العلمانية ذلك الشبح المخيف لدى الكثير من عامة الناس وحتى بعض المثقفين والمفكرين نظراً لتباين الآراء حول ضبط مفهوم عام وواحد للعلمانية والاتفاق على معنى شامل. لقد شغلت العلمانية حيزاً كبيراً من دائرة الاهتمام الفكري وأصبحت تغطي مساحة هائلة من التفكير. نظراً لذلك التداول المتزايد للمصطلح سواء على الساحة السياسية، أم الاقتصادية، أم الاجتماعية وبالتالي أضحت المفهوم حدثاً لا يفتأ أن ينطفئ حتى يظهر من جديد على الساحة الفكرية. ومفهوم العلمانية كما قلنا مفهوم واسع أسال الحبر عند معظم المفكرين خاصة العرب منهم فكان أن انقسموا إلى مؤيدين للتوجه العلماني كإدوارد سعيد فقد كانت العلمانية هدفاً ومشروعاً رئيسياً في التوجه الفلسفي والفكري لدى المفكر إدوارد سعيد. فنحن عندما نتفحص الكتابات المؤلفة لهذا المفكر نجدتها تعج بالمفهوم، وبصوره المختلفة ومفاهيمه، وهو ما نجده في مؤلفاته مثل: العالم والناقد والنص، وكذلك الثقافة والامبريالية وغيرها. ومعارض وناقد مثل عبد الوهاب المسيري والذي يعتبر من أهم من قدموا نقداً لادعاء للتوجه العلماني سواء في الحضارة الغربية، أو العربية. فقد تناول مسألة العلمانية في العديد من مؤلفاته، ومقالاته وخصص لها كتباً أهمها على الإطلاق: "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة"، وكذلك "الإسلام والعلمانية في عالم متغير"، ومقال مهم "الإنسان الشيء". وعليه نتساءل: كيف اتخذ إدوارد سعيد من مفهوم العلمانية آلية وإستراتيجية لأجل النظر وتحليل القضية الفلسفية؟ وما هو موقفه منها؟ وما هي أسباب ذلك الرفض الذي قدمه عبد الوهاب المسيري للتوجه العلماني؟

المبحث الأول: التوجه العلماني لدى إدوارد سعيد

يعتبر مشروعه النقدي دعوة إلى التلاحق الحضاري كخيار إستراتيجي لحل الأزمات، والعلاقات المتوترة بين مختلف شعوب العالم. خاصة تلك العلاقات المتشنجة كالتّي تشهدّها العلاقات الإسلامية الأمريكية، وعلاقة الدول الإسلامية مع الغرب عموماً من خلال مزج معارف المسلمين وتصوراتهم عن الغرب عموماً وعن توجههم العلماني خصوصاً. بإعادة النظر في ترسانة المسلمات الراسخة وإعادة تشكيل إدراك سليم وتشكيل صورة ذهنية جديدة، كذلك البحث عن أسلوب حوارّي تعايشي من شأنه أن يقرب بين الأطراف لأجل تحقيق انسجام علماني ونبذ ثقافة العنف لأجل بناء فضاء حضاري. وهو التوجه الذي دعى إليه إدوارد سعيد في رؤية أدبية وترسانة مفاهيمية عبر من خلالها عن راهن علماني لا بد من التوافق معه من أجل حل المسائل العالقة بين الدول وتحليلها من كنف الاستعمار.

المطلب الأول: العلمانية في مقابل النقد العلمي

يشير إدوارد سعيد إلى مفهوم العلمانية في مقابل النقد العلمي التي تعني عنده: "اندراج المرء في العصور والأزمنة والتاريخ لا في عالم اللاهوت أو نظام النظرية اللاهوتية المتعالي"⁽¹⁾ وعليه نرى أن إدوارد سعيد يضع العلمانية كتوجه خارج عن اللاهوت، وبالتالي الاندراج في التاريخ هو التعلم. أو العلمنة التي يرى أنها ليست إلا الخروج عن الطابع اللاهوتي، وبالتالي فهو يضع العلماني كمرادف للدنيوي "والدنيوية هي اللغة الدنيا والعالم، والواقع مقابل المقدس أي الديني واللاهوتي"⁽²⁾ كما تعني على حسب التوجه الادوارد سعدي فالدنيوي هو المادي وما هو ليس ديني "وهو الاعتقاد بأن الدين والشؤون الدينية اللاهوتية ليست لها دخل في الشؤون العامة"⁽³⁾ وبالتالي كما يقول إدوارد سعيد الاندراج في التاريخ والابتعاد عن اللاهوت.

وعليه إدوارد سعيد لا يقحم الجانب اللاهوتي في توجهه لأنه يرى فيه إقصاء للإنسان. هذا الأخير الذي يعيش في التاريخ الذي هو حادثة أو إنتاج إنساني ولا دخل لللاهوت فيه، وبالتالي فصل اللاهوتي عن الإنساني مما يترتب عليه فصل كل ما هو تاريخي عما هو ديني أي يتقابل هنا المصطلحين الدنيوي والديني، وهو ما أخذه المفكر من فيلسوف التاريخ فيكو فكرة أن التاريخ موضع بشري خالص ومجال لتدخل الدين فيه أو اللاهوت كما يسميه إدوارد سعيد، ففيكو كان دائماً يقرر أن تاريخ العالم هو تاريخ تطور الإنسانية نحو العقل.

ويسقط إدوارد سعيد ذلك على النص الأدبي الذي يرى انه لا يخرج عن نطاق الصناعة البشرية وحدها وبالتالي تتصافر في إخراجها عناصر عدة (اجتماعية، وسياسية، وثقافية). وهو بهذا يوجه نقداً إلى التفكير التي رأي فيها أنها أبقت النص ضمن نطاق النقد وحصرته في المخيال اللغوي وبالتالي يصبح النص حبس التوجه اللغوي أو البعد اللغوي ومنعزلاً عن العالم وهو ما يسميه أدوار سعيد بالقراءة الدنيوية للنصوص أو الطرق الدنيوية قائلًا: "يجب أن تقرأ النصوص كنصوص نحن من أنتجناها ونعيش في مملكة تاريخية"⁽⁴⁾.

(1) نقلا عن: سامية بكوش، العلمانية في الفكر المقاوم لإدوارد سعيد، من اللاديني إلى الدنيوي، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي الإسلامي كتاب جماعي، ص ص 93-94.

(2) محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، ط1، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، 1996م، ص5.

(3) محمد إبراهيم مبروك، العلمانية مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2008، ص14.

(4) نقلا عن سامية بكوش، العلمانية في الفكر المقاوم لإدوارد سعيد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016/04/7.

لقد دعى إدوارد سعيد إلى العلمانية من منطلق أنها بوابة الديمقراطية التي يعيش في كنفها المسلمون واليهود، والمسيحيون، كحل للقضاء على الصراعات والأزمات وبالتالي نجده ينظر للحوار الحضاري والتلاحق كونه البديل الأمثل لحل الأزمة الفلسطينية. ويرى أنه علينا التحلي بقيم الديمقراطية قائلاً: "إذا أردنا أن نعيش يجب ألا نستحوذ على تفكير شعبنا فقط، بل وتفكير مضطهدين، ويجب أن نتحلى بقيمنا الديمقراطية"⁽¹⁾ وذلك حرصاً على مستقبل الإنسانية كون إدوارد سعيد يعمم التوجه العلماني أي نحو علمانية إنسانية أو ما يسمى بالأنسنة المفتحة على الإنسانية قاطبة. يكون فيها التعايش والتفاهم والمبادلة، وتتجسد فيها وحدة العالم وهو ما سبق أن نظر إليه روجي غارودي حول مفهوم الحضارة العالمية قائلاً: "هكذا يمكن أن تتفتح الآفاق أمام ثقافة عالمية تؤسس وحده الإنسانية الحقيقية"⁽²⁾.

إن مفهوم العلمانية عند إدوارد سعيد كان وليد تفكير أدبي كون المفكر قد صك للمفهوم في مؤلف الناقد العالم، والنص. والمتصفح لهذا الكتاب سيجد حتماً ذلك الطابع الأدبي الذي حملته الكتاب والذي توجه فيه بالنقد اللاذع للمناهج الغربية المتمثلة في البنيوية، والتفكيك التي رأى فيها: إهمال الجانب التاريخي وذلك الانغلاق داخل اللغة لأنه يرى أن البشرية تعرف فقط ما صنعتها وإن هذه النزعتين (البنيوية و التفكيكية) قد كان النقد الذي تمارس شبه بعودة ارتكاسة إلى الديني ودفاع عنه و إقحامه داخل النص وبالتالي تم استبعاد العنصر البشري فيها وهو ما صرح به في آخر الصفحات من كتابه: "العالم والناقد والنص" قائلاً: "وإننا نجد أمامنا اليوم، بدل من نفاذ الإدراك والقيم، حيزاً مكثفاً من الجهد الفكري، فضلاً عن أن تلك الموضوعات المدروسة وقد صارت ضحية الإفراط في استبعاد العنصر البشري باتت تستحوذ على اهتمام النقاد. في حين أن المداولات الفكرية صارت أشبه ما يكون بحوار الطرشان في غرفة ضيقة"⁽³⁾ وبالتالي ينتقد إدوارد سعيد كل هؤلاء النقاد الذين بقوا حبيسي الرؤية الدينية، لأنه يرى أن ما أنتجه هؤلاء خارج عن نطاق التاريخي حيث يضيف قائلاً: "وما تستطيع الكائنات البشرية أن تعرفه لا يعدو أن يكون ما ضعه أي ذلك الشيء التاريخي والاجتماعي والديني".⁽⁴⁾

(1) المرجع نفسه ص 16.

(2) روجي غارودي، الولايات م. أ طليعة الانحطاط، تر: صباح إبراهيم، ط2، منشورات (A N E P)، الجزائر، 2003،

ص ص 134-135

(3) إدوارد سعيد، العالم والناقد والنص، تر: عبد الكريم محفوظ، دط، منشورات لاتحاد الكتاب العربي، 2000، ص 341.

(4) المرجع نفسه، ص 340.

المطلب الثاني:

كما يوجه ادوارد سعيد النقد اللاذع للمستشرقين ورأى أن الخطاب الإستشراقي يشغل ضمن نظام خفي يتخذ من العلمانية كمظهر ويصور نفسه كبطلا ينقذ الشرق من بربريته، وهو أحد الأنظمة الفكرية كما يرى هو التي تؤدي إلى الانحلال العشوائي للمعرفة قائلا في أواخر كتابه "الاستشراق" "إن كتابي هذا تحذيرا (الاستشراق) وإسهاما في التحذير من الأنظمة الفكرية للاستشراق والاختلافات العقائدية (...). وان كان لمعرفة الاستشراق من معنى فإنه ليكن في كونها تذكيرا بالانحلال الاغوائي للمعرفة وفي أي مكان"⁽¹⁾. ويرى أن الاستشراق ظاهرة أخفقت قائلا: "وأنا اعتبر أن إخفاق الاستشراق إخفاقا إنسانيا بقدر ما هو إخفاق فكري، ذلك الإخفاق إزاء منطق من العالم اعتبرها أجنسة غريبة على عالمه الخاص. أخفق في توحيد هويته بالتجربة الإنسانية، وأخفق أيضا في رؤيتها كتجربة إنسانية"⁽²⁾. وبالتالي يرى ادوارد سعيد أن الاستشراق قد أخفق منهجيا لأن الشرق الحقيقي مختلف عن الصور الوجيهة التي قدمها المستشرقون، وبالتالي أخفقت هذه الدراسات.

وإضافة إلى مناقشة ادوارد سعيد لمفهوم الاستشراق ونقده فقد وجه ادوارد سعيد من منطلق توجهه العلماني النقد إلى الأصولية التي اعتبرها نزعة دوغمائية تؤدي إلى الانغلاق، والتموقع داخل الديني وتنفي الدنيوي (العلماني) ومن في ذلك تقطع كل أشكال الانفتاح، والتقارب بين الثقافات الإسلامية، المسيحية، واليهودية.

وعلى إثر هذا النقد دعى إلى دولة ديمقراطية ترفع شعار التعايش كحل للإنسانية وبالتالي فإنه يوجه نقده إلى الأصوليين الذين يرون أن العالم العربي الإسلامي ليس بحاجة إلى العلمانية بمفهومها الغربي، وكحتمية للديمقراطية.

كذلك إضافة إلى دفاع ادوارد سعيد عن التوجه العلماني (الدنيوي) مقابل الأصولية المغلقة فقد كانت العلمانية كذلك عنوان كبيرا للمفكر ناصيف نصار الذي كانت العلمانية مشروعه الأكبر. هذا الأخير الذي ربط المفهوم بالعدل ويهدف ذلك إلى إعادة النظر في المفاهيم (كمفهوم الحرية والليبرالية، والديمقراطية) وهو بذلك يوجه نفس النقد الذي وجهه ادوارد سعيد للأصولية التي ترفض التوجه العلماني، وقام بدعم حركات

(1) المرجع نفسه، ص 371.

(2) المرجع نفسه، ص 370.

العلمان في الوطن العربي ورأى أن: "الدفع العلماني يعني ممارسة الحرية دون قيد"⁽¹⁾. كذلك من خلال الدعوة إلى العلمانية التي تحمل معها استقلال وحرية وهو يناقش المسألة من ناحية فلسفية خاصة في مؤلف: "طريق الاستقلال الفلسفي" الذي جعل النقد الفلسفي للنصوص بمثابة مدخلا لتحقيق استقلال شامل قائلا: "لسنا نخطأ إن جعلنا النقد شرطا أساسيا لتحقيق الاستقلال الفلسفي، والفيلسوف في الربع الأخير من القرن العشرين قادر على أن ينفذ على نفسه صفة التابع ويكون هو المعلم لنفسه"⁽²⁾. وبالتالي دعوة ناصيف نصار إلى جانب إدوارد سعيد نحو العلمانية هو قصد للتحرر وكونهم وجدوا فيها منيرا للانقلاب من كل قيد، وهو ما يحققه التوجه العلماني عندهما.

المبحث الثاني: المسيري ونقد التوجه العلماني

يعد مشروع المسيري في جله مشروع ناقد للحدثة الغربية ومآلها وتوجهاتها التقديسية للمادة وتغلغلها في الخصوصية العربية، وهو ما تجسد في العلمانية هذه الرؤية الاستثنائية التي تجعل من العقل مركزا في حدود الطبيعة، والمادة والتي تنطلق من نقطة الانفصال عن القيمة لصالح المادة وهو ما جسده النموذج الغربي. الذي اعتبره المسيري نموذج عن العلمانية والتوجه المادي قائلا في كتابه: الثقافة والمنهج «أنا أتحدث عن نموذج الحضارة الغربية بكونه علمانيا شاملا و؟؟؟؟ منفصلا عن كل قيمة»⁽³⁾. ولإشارة هنا فالمسيري كان دائما يستخدم المادية في مقابل العلمانية كونها مولودا تمخض عن التوجه المادي في الحضارة الغربية وهو النموذج السائد حيث يقول: «أن النموذج المهيمن على الحضارة الغربية هو النموذج المادي»⁽⁴⁾ حيث أننا سنرى بعد قليل كيفية الانتقال من المادية إلى العلمانية الشاملة عن طريق جملة من المفاهيم التي وضعها المسيري كنسق ليصل إلى التوجه العلماني.

المطلب الأول:

يرى المسيري أن مفهوم العلمانية قد أورد خلاف واسع تجاذبته أطراف عدة لكنه يقول: «دققنا النظر جيدا وجدنا أن المصطلح أبعد ما يكون عن ذلك، وأن المصطلح هو ترجمة لكلمة (سيكولاريزم)

⁽¹⁾ نقلا عن زروخي الشريف، قراءة فلسفية للعلمانية في مشروع ناصيف نصار العلمانية والسجلات الكبرى الفكر العربي المعاصر، كتاب جماعي، ص135.

⁽²⁾ نصار ناصيف، طريق الاستقلال الفلسفي، ط2، دار الطليقة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979م، ص82.

⁽³⁾ عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، تحرير، سوزان حرفي، حوارات، ط1 دار الثقافة، دمشق، 2010، ص169.

⁽⁴⁾ عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحدثة وما بعدها، حوارات القرن، دمشق، ط1، دار الفكر 2003، ص16.

Seucularisem الألمانية»⁽¹⁾. كما أن المسير لا يستبعد فكرة العلمنة لأنه يرى أنها طبيعة كامنة في كل المجتمعات غير الواعية كذلك أن تصور فكرة ثبات العلمنة في نظر المسيري مفهوم خاطئ وفساد، لأنها أوسع من أن تحصر في نموذج ثابت وهذا ما ورد في نصه التالي: «اعتقد انه لا يمكن الحديث عن العلمانية حديثا مجردا إلا مجاز، وقد يكون من الأفضل الحديث عن متتالية علمانية تظهر حلقاتها المحتملة من خلال عمليات ظاهرة وكامنة، واعية وغير واعية اخذ في الاتساع وتأخذ أشكال مختلفة باختلاف الزمان والمكان»⁽²⁾.

وتعد الحادثة من منظور عبد الوهاب المسيري من بين الحوامل لفكرة العلمانية أو أن الحادثة الفرنسية حملت في أحشائها بذور الحركة العلمانية دون أن تعلن عن مفهومها إلا بعد ظهور مصطلح الحادثة كمشروع استتاري. قد كان من بين مشكلات التوجه العلماني ولا يمكن عزل المفهوم عن العلمانية، كون الإصلاح سواء للواقع أو العقل قد جاء كمشروع استتاري للتحديث وهي حسب عبد الوهاب المسيري إصلاح الواقع في ظل معتقدات معينة وهذه الرؤية الاستتارية التي أكدت على إصلاح العقل في حدود كل ما هو مادي طبيعي، قد انفصلت عن القيمة الإنسانية وارتبطت بـ الحلولية التي هي أوسع من تحليل الحادثة في الغرب.

وهي التي تدور حولها العلمانية، وهذا ما نجده في كتابه "العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة" من الجزء الثاني «العلمانية تدور حول الحلولية الكمونية، وما يميز هذه المنظومة أنها المبدأ العام المنظم للكون، ليس مفارق له أو منزعه عنه إنما هو كامن وحال فيه وعليه يصبح الكون بما فيه الإنسان والطبيعة مرجعية لذاته لا يحتاج لغيره»⁽³⁾، وبالتالي فكل مشروع تحديث في الأخير يتردد إلى نموذج الحلولية بأنواعها لتصبح الحادثة هي علمانية شاملة.

يستخدم المسيري في معالجته لمفهوم العلمانية نوعين من التسمية وهي: علمانية جزئية، علمانية شاملة ولقد أعطى عبد الوهاب المسيري تعريفا للعلمانية، يمكن اعتباره مغايرا وجديدا بحيث ميز المسيري بين علمانيتين الأولى يسميها علمانية جزئية يعد شعارها الأساسي هو الفصل بين الدين والدولة وعلى أن تكون هذه العلمانية غير متنكرة لوجود مطلقات، وكليات دينية، وأخلاقية. والثانية يطلق عليها تسمية

(1) عبد الوهاب المسيري، عزيز الفطمة، العلمانية تحت المجهر، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت 2000، ص13.

(2) المصدر نفسه، ص23.

(3) عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مرجع سابق، ص467.

العلمانية الشاملة، تتحقق في المرحلة السائلة وهي فصل القيم الإنسانية والأخلاقية، والدينية عن الحياة الإنسانية في جانبها العام، والخاص "تحقق المادية الكامنة".

الفارق بين العلمانيين حسب المسيري هو أن العلمانية الجزئية «تعتبر رؤية جزئية إجرائية ولا تتعامل مع الأبعاد النهائية للمعرفة»⁽¹⁾، وهي بالتالي لا تتناول المسائل الكبرى كالله، الإنسان بل فقط تدعو إلى فصل الدين عن المؤسسات الاقتصادية كما تعد العلمانية الجزئية مرحلة ممهدة لظهور العلمانية الشاملة. هذه الأخيرة التي حسب المسيري رؤية شاملة كونية لا تنحصر فقط في عملية فصل الدين عن الاقتصاد بل تطرقت إلى مسائل ما ورائية.

وبالتالي رفض المسيري التوجه العلماني خاصة في نقده للحدث الغربية لما تحمله من مظاهر التفكيك والتقويض للإنسان والتي حملتها العلمانية الشاملة وكانت غلافا على صفحاتها، فالعلمانية كإيديولوجية غيببت الإنسان ككل وقوضته وأدت إلى اغترابه عن ذاته، حيث يصف المسيري التوجه العلماني قائلاً: «العلمانية الشاملة أيديولوجية كاسحة لا يوجد فيها مجال للإنسان ولا حتى للقيم الإنسانية»⁽²⁾

إنها تؤدي إلى نوع من التشيؤ للإنسان والقيام بتسليحه وبالتالي فإننا لا نجد ذلك الترحيب من طرف المسيري بالعلمانية بل إن المسيري يقترح حدثاً إنسانية بعيدة عن النموذج التدميري الغربي في صورته الامبريالية، ونزعت الاستهلاكية ذات البعد الواحد وهو بعد الاستهلاك المادي.

المطلب الثاني:

وعلى ضوء هذا النقد يطرح نموذج إسلامي وهو التاريخ الحضاري، ومجاله المعرفي إسلامي وأساسه القرآن والسنة النبوية. وهو بهذا يركز على الإنسان عموماً دون تحديد مع الحفاظ على مركزية الإله الضامن الوحيد لمركزية الإنسان الجامع بين الروحي والمادي، ويقترح لذلك مصطلح توليد المعرفة من الإسلام وقد ورد ذلك في قوله: «يجب أنسنة المعرفة أي استرجاع الإنسان ليكون كائنات غير مادي»⁽³⁾.

كما صاغ المسيري مصطلح المجتمع التراجعي والتعاقدوي ويقترح حدثاً تحترم التعاقد ولا تنسى التراجيح، أي عدم إنكار البعد المادي في العلاقات الإنسانية، مع الحفاظ على قيم التراجيح داخل هذا

(1) عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مرجع سابق، ص 220.

(2) عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية، ط2، دار الشروق، القاهرة 2006، ص 396، 397.

(3) عبد الوهاب المسيري، الهوية والحركة الإسلامية، حوارات، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010، ص 107.

المجتمع كما أن المسيري هنا للإشارة لا يرفض الجانب المادي ولم يكن متطرفاً بل رأى أن المادة هي جانب مهم في تكوين المجتمع ومعاملاته في مقاله "الإنسان الشيء" حيث يقول «لست ... بحيث أطالب بتحريم هذه الإجراءات ذات الطابع المادي لكنني أرى أنها عندما تتحرك إلى المركز تصبح القاعدة والمعيار ونكون قد سقطنا في العلمانية الشاملة»⁽¹⁾.

وعليه نستنتج أن عبد الوهاب المسيري كان له موقفاً معتدلاً من فكرة العلمانية إذ رفضها من منطلق أنها جاءت لتجريد الإنسان من قيمته الإنسانية وجعله إنساناً ذو بعد واحد على حد تعبير ماركوز. فدعى في المقابل إلى مجتمع تعاقدى لا مجال للداروينية الغربية فيه.

وبالتالي نجد ذلك الرفض المضمّر لها من منطلق ذلك الجانب المادي أو مادية الفكر الغربي الذي لا يتماشى والرؤية الإيمانية والقيمية للإنسان عموماً. وخاصة الإنسان الإسلامي وبالتالي بحث عن رؤية جديدة تأطر التفكير، مع أن المسيري بدأ رحلة المعرفة علمانياً ومادياً لكنه تخطى عنها، وهذا ما نجده في قوله: «لقد بدأت رحلتي المعرفية وبالتدرّج وجدت أن العلمانية المادية لا تفسر أشياء كثيرة في الإنسان وبدأت تتساقط هذه المنظومة المادية تدريجياً»⁽²⁾، وبالتالي التوجه العلماني لعبد الوهاب المسيري ليس مجرد حكم دوغمائي، بل إنها معاشية ورؤية نقدية لم ترفع هكذا إنما كان وراءها عقل ناقد بناء وليس رؤية مذهبية بل أن محاولة ترقيع الثوب العلماني والتماشي معه. قد راودته وحاول إصلاحها لكن لن يتسنى له هذا الانفتاح، ودعى إلى التعايش بل وحتى الاندماج الكلي فيه حيث يقول المسيري عن رحلته مع التوجه العلماني المادي «حاولت سد ثغرات المادية بطريقة ما أو بترقيع ثوبي المادي حتى أبقى داخل الإطار المادي إلى أن وجدت الرقع أصبحت كبيرة وأكبر من الثوب وأنه من المستحيل الاستمرار في ترقيع المنظومة، وأن الأمانة الفكرية والعقلية تتطلب مني المنظومة الأخرى، ومن هنا اضطررت إلى خلع ثوبي المادي واستبدال ثوب إيماني إنساني»⁽³⁾.

وهكذا كانت الرؤية المسيرية إلى التوجه العلماني بكل ما يحمله من تفكيك وتخليص الإنسان من الإنسانية. وبالتالي فإن ذلك الانتصار إلى العلمانية مع إدوارد سعيد لا نجده مع المسيري بحكم أن نظرية العلمانية تتساقط مع نظرية الحداثة الغربية التي قام عبد الوهاب المسيري بنقد لاذع لها، والتي تتأسس

(1) المسيري، "الإنسان الشيء" مقال متطور في مجلة الثقافة الفكرية، 2005

(2) عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، تحرير سوزان حرفي، حوارات، ط1، 2013، ص14.

(3) المرجع نفسه، ص14.

على نظرية العلمنة باعتبارها قرينة العقلنة بمعناها الواسع وهي «الانتصار الحتمي والقاهر للديني على حساب الديني»⁽¹⁾.

الخاتمة:

ي وعليه نستنتج من هذه المواقف ومن التوجه العلماني للمفكر إدوارد سعيد وبعض من دعاة العلمانية في الوطن العربي، أن إدوارد سعيد جعل من العلمنة حل للقضية الفلسفية، وبالتالي فقد تعاطى المفكر العربي عموما مع مفهوم العلمانية باعتبار أنها مفهوم مأسكل ولحظة من لحظات الفكر تفرض نفسها للتفكير فيها، وفي تجلياتها على الفكر لذلك جعل منها الكثير من المفكرين وسيلة للانفتاح على الآخر وتوجه نحو الحرية. وجعلها إدوارد سعيد حلا لأزمات الصراع، والصدام الحضاري، وقال عنها مراد وهبة أنها التوجه نحو العالم برؤية انفتاحية، وقال عنها ناصيف نصار أنها مشروع لتحقيق الاستقلال والنقد الفلسفي. ومن جهة تبنى عبد الوهاب المسيري الموقف الرفض للعلمانية فقد انتقد التوجه العلماني خاصة من منطلق الجانب المادي الطبيعي للحدثة الغربية ودعى إلى المجتمع التراجعي والتعاودي وهو ما وجده في التوجه الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: الكتب

1. إدوارد سعيد، **العالم والناقد والنص**، ترجمة عبد الكريم محفوظ، د.ط، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 2000.
2. روجيه غارودي، **الولايات م.أ. طليعة الانحطاط**، ترجمة صباح إبراهيم، ط2، منشورات (A N E P)، الجزائر، 2003.
3. رفيق عبد السلام، **آراء جديدة في العلمانية والدين والديمقراطية**، ط4، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015.
4. عبد الوهاب المسيري، **العلمانية تحت المجهر**، تأليف مشترك مع عزيز الفطمة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 2000.
5. عبد الوهاب المسيري، **العلمانية والحدثة والعولمة**، تحرير سوزان حرفي، حوارات، ط1، 2013.

⁽¹⁾ رفيق عبد السلام، **آراء جديدة في العلمانية والدين والديمقراطية**، ط4، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث، 2015،

6. عبد الوهاب المسيري، **الثقافة والمنهج**، تحرير سوزان حرفي، حوارات، ط 1، دار الثقافة، دمشق، 2010.
7. عبد الوهاب المسيري، **الهوية والحركة الإسلامية**، حوارات، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2010.
8. عبد الوهاب المسيري، **رحلتي الفكرية**، ط 2، دار الشروق، القاهرة، 2006.
9. عبد الوهاب المسيري، **فتحي التريكي، الحداثة وما بعدها**، حوارات القرن، ط 1، دار الفكر، دمشق، 2003.
10. محمد إبراهيم مبروك، **العلمانية**، ط 1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2008.
11. محمد عمارة، **العلمانية بين الغرب والإسلام**، ط 1، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الكويت، 1996.
12. ناصف نصار، **طريق الاستقلال الفلسفي**، ط 2، دار الطليقة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1979.

ثانياً: المقالات

13. المسيري، « **الإنسان الشيء** » ، مقال منشور في مجلة الثقافة الفكرية، 2005.
14. سامية بكوش، « **العلمانية في الفكر المقاوم لإدوارد سعيد، من اللاديني إلى الدنيوي** » ، العلمانية والسجلات الكبرى في الفكر العربي الإسلامي، كتاب جماعي.
15. الشريف زروخي، « **قراءة فلسفية للعلمانية في مشروع ناصف نصار** » ، العلمانية والسجلات الكبرى الفكر العربي المعاصر، كتاب جماعي.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية

16. سامية بكوش، « **العلمانية في الفكر المقاوم لإدوارد سعيد** »، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2016/04/7.